تنبيه هام: هذا التفريغ ليس قابل للنشر، فلم يعتمد من الشيخ – حفظه الله– بعد، فمن وجد خطأً نرجو تنبيهنا عليه فوراً.

شَرْحُ كِتَابِ أَعْلَامُ السُّنَّةِ الْمَنْشُوْرَةِ لِلْحَكْمِيّ

– رَحِمَهُ اللّهُ تَعالَى –

لِفَضِيلَةِ الشّيْخِ أُسَامَة بْنُ عَطَايَا العتِيبِي

–حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى –





دروس معهد البيضاء العلمية

الدورة الثالثة

تفريغ: طالبات معهد البيضاء العلمية

1431هـ - 1432هـ





بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيم

إن الحمد الله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[1]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾[3]

أما بعد،

فإنّ أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد –صلى الله عليه وسلم– وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فما زلت معكم في التعليق على كتاب أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، المشهور بكتاب 200 سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية للشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكمي – رحمه الله تعالى– المتوفى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية،

وكان الحديث في الدروس السابقة عن أنواع المعاصي و الذنوب و ما يتعلق بتكفيرها و التوبة إلي الله – جل و علا – منها .

[1] - آل عمران :102

[2] - النساء :1

[3] - الأحزاب : 70-71

[المتن]

ثم قال – رحمه الله تعالى – في السؤال الثالث والتسعين بعد المائة

ما حكم من مات من الموحدين مصرّا على كبيرة ؟

[الشرح]

معنى السؤال أنّ الإنسان المسلم إذا مات دون أن يتوب ممّا عمله من كبائر الذنوب كمن مات و هو مبتدع أو مشرك شركًا أصغر أو فعل من الكبائر ما فعل كشرب الخمر و الزنا و نحو ذلك من كبائر الذنوب إذا مات و لم يتب منها وهو في قلبه مصرٌّ عليها أو على بعضها مستمرٌّ على فعل هذه الكبائر إذا إن لم يتب و قلبه مصرٌّ عليها فهذا لا يدخل فيه في هذا السؤال من تاب قبل أن يموت قبل الغرغرة و قبل أن يغلق باب التوبة و لا يدخل فيه من لهم أحوال خاصة عملوا فيها أعمالاً صالحة بنية صادقة و استحضروا ذنوبهم فقام ذلك العمل الصالح مقام التوبة كحديث صاحب البطاقة فهذا لا يدخل في هذا السؤال إنما هو من مات و لم يتب وهو مصرٌّ على كبيرة أو على كبائر دون الشرك الأكبر و الكفر الأكبر و لم يقم بعملٍ صالحٍ استحضر فيه ذنوبه فقام ذلك العمل الصالح بما قام أيضا في قلبه من الصدق والندم ونحو ذلك مما يغفر الله له بسببه إذا لم يكن هذا حاله و مات و هو مذنب كمن مات و هو سكران أو مات و هو زانٍ لم يتب أو مات و هو على فعل كبيرة فهذا هو موضعُ السؤال ما حكمه هل أنه يعذب لابد ؟ أم هذا قد يغفر له ! هذا هو موضع الجواب و قد أطال – رحمه الله تعالى – في الجواب في نحو ثلاث صفحات لذلك سأجزّئه وأعلق عليه مجزءًا.

[المتن]

قال – رحمه الله – : قال الله – عز وجل – : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (47)﴾[1]

و قال تعالى ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (8) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (9)﴾[2]

[الشرح]

هاتان الآيتان سبق أن أوردهما الشيخ – رحمه الله تعالى – عند ذكر عقيدة أهل السنة في الميزان وتم التعليق عليهما في حينه فلا حاجة للتكرار حيث ذكره في السؤال ما دليل الميزان من الكتاب والسنة ؟ وهو يوافق في ما شرحته السؤال العشرين بعد المائة ما دليل الميزان من الكتاب ؟ وذكر الآيتين.

- عقيدة أهل السنة في الميزان:

فالله – جل وعلا – يقول في هاتين الآيتين في الأولى منهما: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[3] فيه إثبات الميزان كما يعتقد أهل السنة والجماعة وتعددت الموازين لتعدد الموزون

- الأشياء التي توزن في الميزان:

وذكرت هناك أنه يوزن ثلاثة العامل وعمله وصحائف الأعمال و ﴿الْقِسْطَ﴾ يعني العدل وهذا

[1] - الأنبياء : 47
[2] - الأعراف :(8 – 9)
[3] - الأنبياء : 47

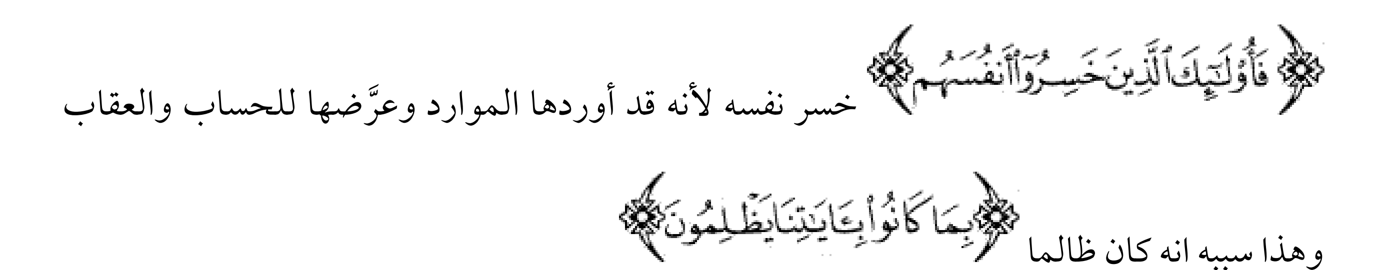
يكون يوم القيامة عند العرض على الله – عز وجل – يوم الحساب بعد البعث والحشر ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ ما عملت من خير تجزى عليه لا تظلم ﴿وَإِن كَانَ﴾ هذا المعمول من الخير ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ وهي متناهية في الصغر فالله – جل وعلا – يقول : ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ فلا نضيّعها ونحفظها للعبد ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ لأن الله – جل وعلا – أعدل العادلين وأحكم الحاكمين ثم قال – سبحانه وتعالى – في الآية التي بعدها: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾

يعني أن الميزان الحق والوزن بالحق يكون يومئذٍ لا شطط فيه لا ظلم فيه بل هو عدل والله –سبحانه وتعالى – يأمر بالعدل وحرم على نفسه الظلم وجعله بين عباده محرما

- صفة الميزان :

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ثقل في الميزان عمله أو ثقل بدنه بما عنده من الإيمان طبعا أو ثقلت صحائفه فهذا من المفلحين لأن الميزان له كفتان كفة يكون فيها العمل الصالح وكفة يكون فيها العمل السيئ أو صحف الأعمال الحسنة في كفة وصحف الأعمال السيئة في كفة فمن رجحت حسناته وكثرت وغلبت سيئاته فهذا من المفلحين الناجين ولو مات وهو مُصر على بعض الذنوب والمعاصي فبالميزان حينئذ إذا ثقل ميزان عمله الصالح فإنه يكون من أهل الجنة ولا يكون معرضا للنار إذا ثقلت موازينه

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ومن خفت موازينه وضعفت ورجحت السيئات



﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ خسر نفسه لأنه قد أوردها الموارد وعرَّضها للحساب والعقاب وهذا سببه انه كان ظالما ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾

- معنى الظلم:

والظلم وضع الشيء في غير موضعه فلو أنهم قاموا بالعدل لحموا أنفسهم من الخسران ولنجوا من العذاب يوم القيامة أو من التعرض للعذاب .

[المتن]

قال – رحمه الله – : قال الله – عز وجل – : ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾[1]

و قال تعالى ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ٩﴾[2]

[الشرح]

هاتان الآيتان سبق أن أوردهما الشيخ – رحمه الله تعالى – عند ذكر عقيدة أهل السنة في الميزان وتم التعليق عليهما في حينه فلا حاجة لتكرار حيث ذكره في السؤال ما دليل الميزان من الكتاب والسنة ؟ وهو يوافق في ما شرحته السؤال العشرين بعد المئة ما دليل الميزان من الكتاب ؟ وذكر

[1] - الأنبياء : 47
[2] - الأعراف : (8 – 9)



الآيتين.

- عقيدة أهل السنة في الميزان:

فالله – جل وعلا – يقول في هاتين الآيتين في الأولى منهما: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[1] فيه إثبات الميزان كما يعتقد أهل السنة والجماعة وتعددت الموازين لتعدد الموزون

- الأشياء التي توزن في الميزان:

وذكرت هناك أنه يوزن ثلاثة العامل وعمله وصحائف الأعمال والقسط يعني العدل وهذا يكون يوم القيامة عند العرض على الله – عز وجل – يوم الحساب بعد البعث والحشر فلا تظلم نفس شيئا ما عملت من خير تجزى عليه لا تظلم وإن كان هذا المعمول من الخير مثقال حبة من خردل وهي متناهية في الصغر فالله – جل وعلا – يقول : ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ فلا نضيعها ونحفظها للعبد ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ لأن الله – جل وعلا – أعدل العادلين وأحكم الحاكمين ثم قال – سبحانه وتعالى– في الآية التي بعدها: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾

يعني أن الميزان الحق والوزن بالحق يكون يومئذٍ لا شطط فيه لا ظلم فيه بل هو عدل والله – سبحانه وتعالى – يأمر بالعدل وحرم على نفسه الظلم وجعله بين عباده محرما

- صفة الميزان :

[1] - الأنبياء : 47

فمن ثقلت موازينه ثقل في الميزان عمله أو ثقل بدنه بما عنده من الإيمان طبعا أو ثقلت صحائفه فهذا من المفلحين لأن الميزان له كفتان كفة يكون فيها العمل الصالح وكفة يكون فيها العمل السيئ أو صحف الأعمال الحسنة في كفة وصحف الأعمال السيئة في كفة فمن رجحت حسناته وكثرت وغلبت سيئاته فهذا من المفلحين الناجين ولو مات وهو مُصر إذا ثقل ميزان عمله الصالح فإنه يكون من أهل الجنة ولا يكون معرضا للنار إذا ثقلت موازينه

﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ وضعفت ورجحت السيئات ﴿ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم ﴾ خسر نفسه لأنه قد أوردها الموارد وعرَّضها للحساب والعقاب وهذا سببه انه كان ظالما ﴿ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾

- معنى الظلم:

والظلم وضع الشيء في غير موضعه فلو أنهم قاموا بالعدل لحمَوا أنفسهم من الخسران ولنجوا من العذاب يوم القيامة أو من التعرض للعذاب .

[المتن]

ثم أورد الشيخ حافظ – رحمه الله تعالى – الآية التي بعدها قال : قَالَ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ ﴾ [1] الآية

[1] - آل عمران : 30

هذه الآية ما سبق أن ذكرها – رحمه الله – تمام الآية ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [1]

- تفسير الآية :

ومعنى الآية : أن الله – جل وعلا – إذا بعث الناس وأوقفهم للعرض والحساب فكل نفس تجد ما عملت من الخير والشر حاضراً موجودا ، لا يضيع شيء والله – جل وعلا – لا يظلم مثقال ذرة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [2]

فما عملت من خير تجده محضراً حاضراً أمامها وكذلك ما عملت من سوء ، ولكنها لها موقف آخر من السيئات هذه النفس ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ﴾ يعني من السوء من شدة الأسف والحزن والندم على ما فرّط في جنب الله واقترف هذه السيئات .

- يجب على العباد الاستعداد للقاء الله – عز وجل – :

فالواجب على العبد أن يتوب إلى الله وأن يستعد للقاء الله حتى لا يأتي اليوم الذي يقول : ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴿٥٦﴾﴾ [3] والله – جل وعلا – ذكر حال من ظلم نفسه وفرّط في جنب الله ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [4]

---

[1] آل عمران : 30
[2] - الزلزلة : (8 -7)
[3] - الزمر : 65
[4] - النساء : 42



والله –جل وعلا – يقول : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ٣٨﴾[1] وقال – سبحانه وتعالى – : ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩﴾[2]

- النجاة في تدبر آيات القرءان :

فلابد للعبد أن يستحضر هذه النصوص ويعرف أن العاقبة يومئذٍ إنما هي للمتقين الطائعين الصادقين البَعيدين عن المعاصي والسيئات والبدع والموبقات والمنكرات ، نسأل الله العفو و العافية والحماية والعفو والمغفرة ، ثم يقول – رب العزة والجلال – : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ تخويف من الله – جل وعلا – وتهديد ووعيد ، فالله – جل وعلا – شديد العقاب ذو عقاب أليم وعظيم ومهين ، وهو – سبحانه وتعالى – مع أنه شديد العقاب هو كذلك رؤوف بالعباد رحيم بهم يغفر ويعفو ويصفح ويمهل ويخوّف ويتوعّد ويجعل عبده راجيًا رحمته يرغبه أبان له الخير وأبان له الشر ليعمل بالخير ويترك الشر

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[3]

---

[1] - الزخرف : 38
[2] - الفرقان : (27- 29)
[3] - آل عمران : 30



[المتن]

ثم ذكر الشيخ آية أخرى قال : قَالَ تَعَالَى ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾[1]

[الشرح]

وهذه الآية لم يذكرها –رحمه الله – فيما سبق ، ومعنى الآية أن يوم القيامة النفوس تجادل وتدافع وتحامي عن نفسها ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾[2]

نفسي نف

- صور من يوم القيامة:

الكل يومئذ منشغل بحاله ونفسه ولا يهمه إلا مصلحة نفسه في ذلك اليوم فيتبرأ المتبوع من أتباعه ، ويتبرأ كل أحد من غيره نفسي نفسي حتى أن أنبياء الله – عز وجل – يوم القيامة يجتمع الناس إليهم للشفاعة، وكلهم يقول نفسي نفسي إلا نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – يقول:" أَنَا لَهَا " يَعْنِي لِلشَّفَاعَة فكل نفسٍ لا يهمها إلا نفسها ويحتاج حينئذٍ الحسنات ولو قَلَّت وحينئذٍ يرى أثر السيئات ولو قلَّت أيضا فالنفوس يومئذٍ تجادل عن نفسها مقتصرةً عليها ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾[3] من خير أو شر من هدًى أو ضلال كل ما عملت تُوفَّاهُ و تستوفيه ويقتص بين حسناته

---
[1] - النحل : 111
[2] - النحل : 111
[3] - النحل : 111



وسيئاته بالميزان وقبل ذلك ترد المظالم إلى أهلها كما في حديث المفلس ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ فلا يظلمون شيئا و لا يزاد في سيئاتهم بغير استحقاق ولا ينقص من حسناتهم بدون سبب بل عدل والله – جل وعلا – هو أعدل العادلين.

[المتن]

ثم ذكر الشيخ حافظ – رحمه الله تعالى – قوله سبحانه وتعالى قال –رحمه الله – و قَالَ تَعَالَى

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[1]

[الشرح]

وهذه الآية قد قال غير واحد من الصحابة أنها آخر ما نزل من القرآن، آخر ما نزل من القرآن هذه الآية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[2]

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ يعني اجعلوا بينكم وبين ما يكون في ذلك اليوم من الأهوال والفزع وقاية بالعمل الصالح والتوبة ،من الأعمال السيئة ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ فهذا هو اتقاؤك لهذا اليوم بالاستعداد ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ كل نفس ما كسبت من الخير أو الشر فإنها توفاه وهم لا يظلمون مثقال ذرة لا بزيادة سيئة ولا بنقصان حسنة فخافوا من الله

[1] - البقرة : 281
[2] - البقرة : 281

أن تأتوا ذلك اليوم وتتمنوا الحسنات ولو أنكم تبتم من السيئات فاتق الله واتق هذا اليوم من الآن واستعد.

[المتن]

يقول الشيخ حافظ – رحمه الله تعالى -: قَالَ تَعَالَى ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾[1]

[الشرح]

هذه الآيات ذكرها – رحمه الله – أيضا فيما سبق عند الحديث على العرض لمَّا قال كيف صفة العرض و الحساب ؟

فذكر فيه هذه الآيات وسبق الحديث عنها حينئذٍ فـ ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾ جماعات متفرقين يومئذ يصدر الناس متفرقين أشتاتا يعني متفرقين ﴿ لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ كلٌ يضع – رب العزة والجلال – كنفه عليه وحيدا ويقرره بعمله ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ ﴾ يعني فمن يعمل مثقال ذرة من الخير يرى هذا الخير ومن يعمل مثقال ذرة من الشر يرى الشر إذا شاء الله قال وغير ذلك من الآيات.

وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –:" مَن نُوْقِش الْحِسَابَ عُذِّب فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ –رَضِيَ اللهُ

[1] - الزلزلة : (6: 8)

عَنْهَا- فَقُلْتُ أَوَلَيْس يَقُولُ اللهُ تَعَالَى ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [1] فَقَالَ إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ " وهذا الحديث أيضا قد سبق ذكره في ما مضى عند الكلام على الحساب عند الكلام على عرض الاعمال والحساب سبق هذا الحديث وسبق التعليق عليه.

- المراد بالحساب العرض :

خلاصة ذلك أن الحساب يراد به عرض الأعمال على العبد ، أنت يا عبدي عملت كذا وكذا فغفرت لك عملت كذا وكذا وسترت عليك عملت كذا وكذا أو أني أعطيتك كذا وكذا ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾ [2] فالعرض على الله - سبحانه وتعالى - يعرض الله - عزّ وجلّ - العمل أو أعمال العباد لما يضع كنفه عليهم وستره فيقررهم بأعمالهم فمن كان حسابه بالعرض فقط دون نقاش وجدال يعني العبد يجادل ويناقش فإذا كان فقط العرض فهذا حظ المؤمن الذي يعفو الله - عزّ وجلّ - عنه أما من نوقش نقاش الحساب عملت كذا وستجازى عليه عملت كذا وستجازى عليه فهذا الحساب الذي ورد في قوله - صلى الله وعليه وسلم - " مَن نُوْقِش الْحِسَاب عُذِّب أَو فَقَد هَلَك " كما في رواية أخرى والحديث في الصحيحين.

[المتن]

ثم قال الشيخ - رحمه الله - الشيخ حافظ :

ولقد قدمنا من النصوص في الحشر وأحوال الموقف والميزان ونشر الصحف والعرض والحساب والصراط والشفاعات وغيرها ما يعلم به تفاوت مراتب الناس وتباين أحوالهم في الآخرة بحسب تفاوتهم في الدار الدنيا في طاعة ربهم وضدها من سابقٍ ومقتصدٍ وظالمٍ لنفسه.

---

[1] - الانشقاق :8
[2] - التكاثر : 8



[الشرح]

أي أنه – رحمه الله – ذكر ما يتعلق بالأعمال والجزاء والحساب وأصناف الناس يومئذ من مؤمنهم وكافرهم

- أصناف المؤمنين ثلاثة :

وكذلك أصناف المؤمنين وهم ثلاثة أصناف: السابقون بالخيرات، والقسم الثاني المقتصدون أصحاب اليمين والقسم الثالث الظالمون لأنفسهم والظالمون لأنفسهم من أهل الإيمان والتوحيد هم الذين نتحدث عنهم في هذا الجواب إذًا قدم – رحمه الله تعالى – فيما سبق فيما يتعلق باليوم الآخر من الحشر والموقف والميزان والعرض والصحف والحساب والصراط والشفاعة ما تبيّن فيه أنّ الناس ليسوا على مرتبة واحدة بل هم متفاوتون حسب ما عندهم من الأعمال الصالحة وحسب ما عندهم من الأعمال السيئة.

فالسابقون بالخيرات الذين عملوا الواجبات وتركوا المحرمات وزادوا فعملوا بالمستحبات وتركوا المكروهات هؤلاء السابقون، السابقون.

المرتبة الثانية هم أصحاب اليمين المقتصدون الذين فعلوا الواجبات وتركوا المحرمات لكنهم لا يحافظون أو يقصّرون في فعل المستحبات ويقصّرون في ترك المكروهات لكن هذا لا يوجب عليهم تبعة أو عذابا.

والقسم الثالث هم الذين ظلموا أنفسهم بفعل المحرمات أو بعضها وترك الواجبات أو بعضها لكن عندهم أصل الإيمان فلم يقعوا في ناقض من نواقض الإيمان والإسلام فلو كان هذا المحرم شركًا أكبر فارتكبوه لخرجوا من الملّة وصاروا من الكفّار لكن الحديث هنا على من بقي عنده أصل التوحيد ولم يخرج من الملة .

] المتن[

ثم قال الشيخ رحمه الله إذا عرفت هذا يعني مراتب الناس في الآخرة فاعلم أن الذي أثبتته الآيات القرآنية والسنن النبوية والتابعين و التابعين لهم بإحسان من أئمة التفسير والحديث والسنة أن العصاة من أهل التوحيد على ثلاث طبقات ثم ذكرها.

[الشرح]

الذي ذكره هنا – رحمه الله – دلت عليه كما ذكر الآيات القرآنية التي ساقها في هذا الجواب وفي المواضع الذي أشار إليها كذلك الأحاديث التي ذكرها هنا والتي ذكرها في مواطنها التي أشار إليها.

- منهج الصحابة والسلف الصالح أن الناس تتفاوت مراتبهم يوم القيامة :

كذلك الصحابة – رضي الله عنهم – ومن تبعهم في القرون المفضلة من سلفنا الصالح ثم من تبعهم من أهل السنة الذين كتبوا وألفوا في التفسير كعبد الرزاق الصنعاني والإمام أحمد بن حنبل و بقي بن مخلد وبن ماجه صاحب السنن وبن جرير الطبري وغيرهم من مفسري أهل السنة وكذلك أئمة الحديث الذين صنفوا في كتب الحديث كالبخاري في صحيحه ومسلم في صحيحه وكذلك أصحاب السنن الأربعة و أبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي كذلك أصحاب المسانيد الإمام أحمد بن حنبل ومعجم الطبراني ومسند أبي يعلى والبزّار وغيرهم كلهم يروون من الأحاديث التي تبين تفاوت الناس وتفاوت مراتبهم وأنهم على أصناف وأنهم ينجون أهل التوحيد ناجون يوم القيامة وإن أصابهم ما أصابهم قبل دخول الجنة كذلك أئمة السنة الذين ألفوا في كتب السنة ككتاب السنة أو أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل كذلك أصول السنة للحُمَيْدِي كذلك كتاب السنة لعبد

الله بن الإمام أحمد كذلك كتاب السنة للطبراني وابن أبي حاتم أيضا في السنة وكل من أتى بعدهم كالخلاّل والمروزي ومحمد بن نصر في كتابه السنة وكذلك البربهاري جميع من صنّف في السنة ينصون على تفاوت الناس يوم القيامة وأن أهل التوحيد ناجون ولو شاء الله - عزّ وجلّ- أن يؤاخذوا ببعض ذنوبهم ولكنهم في النهاية ناجون فهذا الأمر مما اتفق عليه أئمة أهل السنة واتفق عليه أئمة التفسير والحديث وأنهم منهم من ينجو ومنهم من يعذّب ويعاقب ثم ينجو

- القرآن والسنة والإجماع دلوا على أن العصاة من أهل التوحيد على ثلاث طبقات:

هذه المراتب الثلاث دلت عليها آيات القرآن والحديث وآثار السلف ودرج عليها أئمة أهل السنة في مختلف الفنون إلى زماننا هذا ثم ذكر- رحمه الله تعالى - طبقات أهل التوحيد عصاة أهل التوحيد الذين ماتوا وهم مصرين علي الذنوب والمعاصي فقال - رحمه الله - أنّ العصاة من أهل التوحيد على ثلاث طبقات:

الأولى: قوم رجحت حسناتهم بسيئاتهم فأولئك يدخلون الجنّة ولا تَمَسُّهم النار أبدا فهؤلاء يدخلون الجنة لأول وهلة لأنهم عندهم من الحسنات ما رجح على سيئاتهم الإنسان في هذه الدنيا ربما يعمل من السيئات ما يغفرها الله له في الدنيا وتمحا من الصحيفة وذلك إذا كانت من الصغائر تكفرها الأعمال الصالحة أو كانت من الكبائر وتاب منها هذه ممسوحة لكن إذا لم يتب وبقيت هذه الذنوب مسجلة في الصحائف مع ما عنده من الحسنات فهذا يوم القيامة يأتي وله صحف صحفٌ كتبها ملائكة الحسنات لكل رجل ملاكان أو مكلف ملكان ملك للحسنات وملك للسيئات يكتب هذا ويكتب هذا فيأتي الملكان ملك بصحفك السيئة وملك بصحفك الحسنة فيوم القيامة يتعرض الناس للأهوال ويتعرض الناس للفزع يوم القيامة إلا ما شاء الله أن يكون آمن.



- حال عصاة أهل التوحيد يوم القيامة:

عصاة أهل التوحيد من المذنبين يغرقون الناس في عرقهم منهم من هو إلى كعبيه ومنهم من هو إلى أنصاف ساقيه منهم من يكون إلى ركبتيه حسب أعماله السيئة فهؤلاء يوم القيامة يكونون في كرب ، ثم يأتي موعد العرض على الله – سبحانه وتعالى – ، لأن العرض والحساب والميزان إنما يكون بعد نزول الرب –جلّ وعلا– ومجيئه كما قال – سبحانه وتعالى– ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢)﴾[1]

فالناس ينتظرون ، وذلك اليوم مقداره خمسون ألف سنة وتُدنى الشمس من رؤوسهم قدر الميل ، فيغرقون في عرقهم كُل على حدة يعني ليس العرق يكون كالنهر لجميع الناس ، لا كل شخص يغرق في عرقه ، أو حسب ما عنده من الذنوب يكون عرقه ومنهم من يلجمه إلجامًا والعياذ بالله

- الشفاعة العظمى :

فالناس يقفون في حرّ الشمس والعطش والشدة والبلاء فيبتهلون إلى الله – سبحانه وتعالي– أن ينزل ليفصل بينهم فيأتي الناس إلى أبينا آدم فيدلهم على نوح ويأتون لنوح – عليه السلام –فيدلهم على إبراهيم فيأتون إلى إبراهيم –عليه السلام– فيدلهم على موسي، فيأتون إلي موسى –عليه السلام – فيدلهم على عيسى ، فيأتون إلى عيسى –عليه السلام– فيدلهم على محمد– صلي الله عليه وسلم – ويقول: " أَنَا لَهَا "، فيشفع عند ربه يذهب يسجد تحت العرش ويفتح الله عليه بمحامد لا يفتحها عليه وقت ذكره للحديث ، ثم يدعو الله –سبحانه وتعالى – ما شاء الله أن يدعو ،

[1] - الفجر :21 – 22



ثم يقول الله له : " ارْفَع رَأسَكَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَل تُعْطَى " " فَيَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي " فالله – جل وعلا – لما يشفع رسوله – صلى الله عليه وسلم – الشفاعة العظمى التي يغبطه عليها جميع الخلائق ، وهذا لعظيم منزلته – صلى الله عليه وسلم – فهو سيد ولد آدم ولا فخر

- نزول الرب – جل وعلا – لفصل القضاء :

فينزل الرب – جلا وعلا – لفصل القضاء ، ويبدأ الحساب ، و" مَن نُوْقِش الْحِسَاب فَقَد هَلَك" ثم في الحساب يكون وزن الأعمال ، فهؤلاء أصحاب الحسنات و أصحاب السيئات كل ينتظر وينظر خائفا وجلا لميزانه.

فمن ثقلت موازينه فيأخذ صحائفه بيمينه ومن خفت موازينه أو كان من أهل النار فيأخذها بشماله ، فتوزن هذه الصحائف ويُوزن أصحابها فمن ثقل ميزانه ورجحت حسناته ولو كان مات على الذنوب ومُصرا عليها ، ما دام أنه عنده من الحسنات ما رجح عن سيئاته فهذا يذهب ويدخل الجنة ، ولا يعذب في النار أبدًا ، مادام أنه قد فاز ، وعنده من الأعمال الصالحة الشيء الكثير الذي ينير دربه ، و الذي يجعله سريعا على الصراط ، لقلة ذنوبه بالنسبة إلى كثرة حسناته ، فهؤلاء سعداء ناجون وفي النار ليسوا بمعذبين.

ثم قال الثانيةُ قوم تساوت حسناتهم و سيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم سيئاتهم عن النار يعني أنهم عندهم حسنات وسيئات و لكن هذه الحسنات متساوية مع السيئات وميزانه لم يثقل لا بهذا ولا بهذا فهذا الصنف من الناس هم أصحاب الأعراف

[المتن]

قال – رحمه الله تعالى – : " وهؤلاء هم أصحاب الأعراف الذين ذكر الله تعالى أنهم يوقفون بين الجنة والنار ما شاء الله أن يوقفوا ثم يؤذن لهم في دخول الجنة كما قال تعالى بعد أن أخبر بدخول



أهل الجنةِ الجنة وأهل النارِ النار وتناديهم فيها وبينهما حجاب"

[الشرح]

يعني بين أهل الجنة و النار فبين الجنة و النار حجاب

- معنى الأعراف وصفته :

و هذا الحجاب سور عظيم مرتفع والأعراف جمع عُرف وهو المكان المرتفع وأخذ منه عُرف الديك لأنه مرتفع على رأسه فأصحاب الأعراف هؤلاء قوم من الموحّدين قصرت بهم حسناتهم أن تدخلهم الجنة ، وقصرت سيئاتهم على أن تدخلهم النار لتساويها مع الحسنات فهؤلاء يوقفون على الأعراف ولا يدخلون الجنة ابتداءً ، ولا يدخلون النار محميين من دخول النار، وممنوعين ابتداءً من دخول الجنة.

- حال أصحاب الأعراف :

فهؤلاء في موقف رهيب ينتظرون رحمة رب العالمين ، و ينظرون إلى أهل النار و إلى أهل الجنة ، فيعرفون كُلاً بسيماهم ، وينادون هؤلاء وينادون هؤلاء ، فهؤلاء أصحاب الأعراف يُشرفون على النار ، وهم على سورهم ذاك ويتطلعون عليهم ، والله –سبحانه وتعالى – يقول ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾[1]

قَالَ تَعَالَى ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾[2]

---

[1] - الأعراف: 45

[2] - الأعراف:46

بين أصحاب الجنة وأصحاب النار ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٌ﴾ **يعني هناك تلال هناك مرتفعات مشرفة على أهل النار قيل إنه السور،** ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣﴾[1]

وقيل إنه نفس هذا الحجاب، قال: ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ﴾ **أهل الجنة بسيماهم وأهل النار بسيماهم** ﴿وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦﴾ ﴿وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ﴾

رجالا من أهل النار يعرفونهم بعلاماتهم قَالُواْ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٨ أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ **– يعني أهل الجنة–** ﴿ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩﴾

فادخلوا الجنة هذه أيضا لأهل الأعراف الذين عفا الله – عزّ وجلّ- عن سيئاتهم ورحمهم وتفضّل عليهم بأن أدخلهم الجنة وأجارهم من النار ، نسأل الله– عزّ و جلّ– أن يجيرني وإياكم من النار وأن يجعلني وإياكم من السعداء فهؤلاء أصحاب الأعراف هم القوم الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم وهذا التفسير قد صحّ عن ابن عباس –رضي الله عنهما– وصح أيضا عن حذيفة –رضي الله عنه– كذلك عن ابن مسعود فهؤلاء قوم تساوت حسناتهم يعني هو تقريبا إجماع من العلماء، هناك خلاف يعني في تعريف من هم أصحاب الأعراف لكن مرد ذلك إلى هذه الطبقة التي أجمع

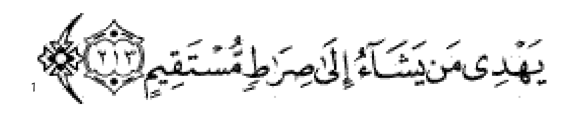
[1] الحديد: 13

عليها العلماء، إذًا قوله –تعالى- ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ (٤٩) هذا يقوله ربّ العزة والجلال لأصحاب الأعراف.

ثم قال –رحمه الله-: الطبقة الثالثة قوم لقوا الله –تعالى- مصرّين على كبائر الإثم والفواحش ومعهم أصل التوحيد والإيمان فرجحت سيئاتهم بحسناتهم فهؤلاء هم الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم فمنهم من تأخذه إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه حتى أن منهم من لم يحرّم الله منه على النار إلا أثر السجود ، قال وهذه الطبقة هم الذي يأذن الله – تعالى- في الشفاعة فيهم لنبينا محمد –صلى الله عليه وسلم- ولغيره من بعده من الأنبياء والأولياء والملائكة ومن شاء الله أن يكرمه فيحد لهم حدا فيخرجونهم ثم يحد لهم حدا فيخرجونهم ثم هكذا فيخرجونهم من كان في قلبه وزن دينار من خير ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار من خير ، ثم من كان في قلبه وزن بُرة من خير ، إلى أن يخرجوا منها من كان في قلبه وزن ذرة من خير، إلى أدنى من مثقال ذرة إلى أن يقول الشفعاء ربنا لم نذر فيها خيرا ، ولم يخلّد في النار أحد ممّن مات على التوحيد و لو عمل أي عمل .

ولكن كل من كان منهم أعظم إيمانًا ، وأخف ذنبًا كان أخف عذابًا في النار ، وأقل مكثا فيها ، وأسرع خروجًا منها وكل من كان أعظم ذنبا ، وأضعف إيمانا كان بضد ذلك ، والأحاديث في هذا الباب لا تحصى كثرة.

وإلى ذلك أشار النبي – صلي الله عليه وسلم – بقوله : " مَن قَال : لَا إِلَه إِلَّا اللَّه ؛ نَفَعَتْه يَوْمًا مِن دَهْرِه ، يُصِيبُه قَبْل ذَلِك مَا أَصَابَه " وهذا مقام يعني الذي فيه الشفاعة ضلت فيه الأفهام وزلت فيه الأقدام واختلفوا فيه اختلافا كثيرا. ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ


[1]

وإن شاء الله تعالى يكون الحديث عن الطبقة الثالثة ، وما ذكره الشيخ –رحمه الله– تعالى في الدرس القادم، والله أعلم، وصلي الله وسلم على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

[1] - البقرة : 213